

Submission date: 04/09/2018

Accepted date: 26/10/2018

استراتيجية الإدارة السياحية في المنظور الدعوي
دراسة في تفعيل المسخرات والمساجد في المفهوم القرآني

*Tourism Management Strategy (the Prophetic Perspective): The Case Study of
Activation and Mosque in the View of Quran*

Nounah Somari and Zuhair Hanuf
Universiti Sains Islam Malaysia

drnounasam@usim.edu.my

ملخص البحث

رغم أنّ الرؤية الحالية للسياحة أخذت مجالاً واسعاً في العالم وفق الفلسفة الإغريقية القديمة والتي يدور محتواها حول التمتع و اللذة دون مراعات حدود العقائد وتفعيلها، الذي أدى إلى تقوقع المفهوم السياحي في بعض الدول العربية الإسلامية على الأماكن الفاسدة و الملهيات الغير شرعية سواء من ناحية تفشي العري والأغاني الصاخبة أو من شرب الخمر وتعاطي بعض المحرمات مما أدى إلى اقضاء الفئة المتديّنة ، وجعلها تنكر السياحة بمفهومها المعاصر وتنبذها بل وتحاول الابتعاد عنها وأخذ موقف سلبى ، إلا أنّ المفهوم القرآني للسياحة جاء ليصحح هذا المفهوم حيث نجده أخذ مفهوماً واسعاً شاملاً تحاول هذه الدراسة التعرّف عليه والوقوف على استراتيجيته ، وبذلك فإنّ هذه الدراسة تهدف إلى تأسيس فقه دعوي للسياحة يبنى على النظرة التوحيدية في مخاطبة الذات الإسلامية أو الآخر الغير مسلم على حد سواء . وتظهر أهميّة الدراسة من خلال أهميّة السياحة في العصر الراهن والتي أخذت أبعاد واسعة المدى من السياسي أو الإقتصادي أو التاريخي أو الأثري لتشمل الكثير من المناطق الطبيعية على مختلف مواقعها ، بل أنّها أصبحت مصدر أساسي من مصادر الاقتصاد للكثير من الدول . لأجل نجاح مفردات البحث ومخرجاته تستحضر الباحثة المنهج

الاستقرائي والمنهج الوصفي في محاولة جادة لسط العناصر التالية : مقدمة ، تعريف السياحة لغة واصطلاحا ، و الوقوف على المفهوم القرآني للسياحة ،الوسائل الماديّة في القرآن الكريم وبعدها الاتصالي ، مرتكزات استراتيجية الادارة السياحية في القرآن الكريم ، الأبعاد الدعوية للسياحة ، الخاتمة ، توصيات الدراسة .

كلمات افتتاحية: استراتيجية الإدارة السياحية, المساجد.

Abstract

While the vision of tourism is becoming increasingly popular in the eyes of the world, but what is happening now is the practice of tourism that based on the unlimited enjoyment, filled with things that are contrary to Islam such as nude dance, songs and wine. This is contrary to the principles of tourism in Islam. Therefore, this study aims to provide a clear explanation about tourism based on the *Tauhidic* perspective, which can be regarded as a guideline for Muslim and non-Muslim. Such understanding are very important because tourism sector contribute significantly to the economic development in many countries in this world. This study is a qualitative study that focus on exploring the fact in Quran that related to the philosophy, goals and strategy of tourism.

Keyword: Tourism Management Strategy, mosque.

التمهيد

بعد الإطلاع على معظم ما كتب في استراتيجية الإدارة السياحية تبين أن جلّها ركّز في تفصيل عمل المؤسسات إداريا والمتمحورة في قيامها بالعديد من الأعمال ،متمثلة في تنظيم الأعمال السياحية و تنظيم الرحلات و الإشراف على حجز تذاكر الطيران و غيرها و نقل السائحين بصور النقل الأخرى و غيرها من المناشط و تعتمد إدارة الأعمال السياحية على تطبيق مبادئ الإدارة في تسيير و رفع كفاءة العمل في المؤسسات السياحية على اختلاف نشاطها مع مراعاة الخصوصية التي تتسم بها تلك المشروعات حيث يتم تطبيق أهم المبادئ و الأسس الإدارية اللازمة للعمل في منشأة السياحة من تخطيط و تصميم و رقابة و توجيه للجهود و تغذية راجعة مستمرة بما يسهم في تحقيق أهداف

تلك المؤسسات من تحقيق عوامل الجذب السياحي و تحقيق نسب أرباح تتناسب مع الجهود المبذولة في العمل الإداري و تتناسب كذلك مع حجم نشاط المنشأة السياحية نفسها و عدد العاملين بها و تتمثل أهمية الأعمال السياحية في ضرورة الإلمام بالعديد من العمليات و الفعاليات المتنوعة التي يضمها العمل السياحي متمثلة في الإشراف على استقبال السياح و إعداد البرنامج السياحي المناسب لهم و كذلك التحقق من توافر الخدمات السياحية و الفندقية المختلفة و التحقق كذلك من الناظم المحاسبي المسيطر على تسجيل البيانات المالية للمؤسسات السياحية و توافر الأمن و كذلك العروض الترويجية المختلفة و منظومة إعداد العاملين و تدريبهم بشكل متميز لتقديم أفضل مستوى متاح من الخدمات للعملاء و القدرة على مهارات التواصل الفعال و بما يحقق للعملاء مستوى الراحة و المعاملة الجيدة التي يرغبون بالحصول عليها خلال فترة الإقامة كما يلزم كذلك الإشراف على الخدمات المقدمة للسياح و التحقق من جودتها و متابعة عوامل الأمن و التأمين في المؤسسة السياحية و بذلك تتضمن إدارة الأعمال السياحية كل ما من شأنه تحقيق التميز و النجاح لتلك المؤسسات في عملها في المجال السياحي تحقيقا للربح الاقتصادي وهذا لا ننكره ، لكن حبذا لو نلتفت قليلا لما هو أعظم من ذلك بل ويكمله ويقويه وهو الإهتمام بالجانب الإنساني والروحي والعقدي للبعد السياحي ، لذلك فإن هذه الدراسة ترمي إلى وضع استراتيجية دعوية تكميلية للتقنيات المعتمدة في تطوير السياحة بما يتماشى مع المراد القرآني وفقا لاستكمال الهدف الأعظم من تنظيم السياحة وتطويرها دعويا تحقيقا لدفع الأمة المسلمة نحو الكمال والجمال والتميز في إضافة نوعية للإنسانية وحفاظا على البشرية من الضياع والتميع والتشرد في ظل الحضارة الزائفة.

وسائل مادية في القرآن الكريم وبعدها الاتصالي بالإنسان :

نستطيع أن نقرر ابتداءً أنّ الحقيقة الإنسانية تميل إلى الإيمان بالماديات أكثر من المعنويات وتأنس باللموس قبل المحسوس، وفي سبيل إنشاء حقائق اعتقادية في الضمائر، وتثبيتها في النفوس، وتعميقها في الكيان البشري، وبث الحياة النابضة الدافعة فيها، مكيفة للمشاعر والتصورات والأعمال والحركات الإنسانية، وفي سبيل إنشاء عقدي مبني على تصوّر استخلافي، يحتوي سياق

السور والآيات القرآنية على شتى المؤثرات المادية الموحية إلى الإيمان بالوحدانية، وإيقاعاتها التنبؤية التي تلمس أوتار الكيان البشري كلها في عمق واستحاشة، وهو يعرض هذه الحقائق ويفصلها، بمنطق العقل، وفطرية النفس.

وهذا ما نلاحظه جليا في فهرس السور في المصحف الشريف لأوّل وهلة الذي أخذ مسميات للكون المنظور لدلالة الاعتبار والتمعن الكونية، حيث نجد أنها ابتداء من سورة البقرة و من سورة الأنعام، النحل، الكهف، النمل، الدخان، النجم، القمر، الطارق، الشمس، الليل، الفيل، الفلق والتي تمثل في اطارها العام وسائل مرئية مادية يستطيع الإنسان الإحساس بوجودها دون مجادلة، وإن كانت تحمل في محتواها التفصيلي قصص وعبر وأهداف عقديّة خاصة، إلا أنها تحمل مجتمعة مدلول تواصل عقدي تنبهي بين رب الكون والبشريّة جمعاء مركزه حول عقيدة التوحيد والربويّة تدعوا إلى سياحة العقل فيها.

تأسيساً على ما تقدّم فإن الوسائل المادية في القرآن الكريم من المنظور العقدي- كما تسطرها الكاتبة - هي: "الوسائل التي تستوعبها الأعضاء الخمس والتي اعتمدها القرآن الكريم في اتصاله بالآخر، أو حتّى الأمة المسلمة وأفرادها على استثمارها من أجل بناء عقيدة التوحيد وفق التصور الاستخلافي للأرض" وهذه الوسائل تؤكّد فرضيّة مفادها أن القرآن الكريم هو وسيلة اتصالية في حد ذاته يحتوي على مجموعة من الوسائل الجزئية.

وانطلاقاً من هذا التعريف، وباستقراء الآيات القرآنية، تبين أن ثمة مجموعة هائلة من الماديات التي اعتمدها القرآن الكريم لأجل تحقيق تواصل فعال مع الانسانيّة من منظور سيّاحي يتوافق حتما مع الطبيعة البشريّة، وهي وإن كانت تتداخل معها في بعض الحثيات، إلا أنه يمكن تصنيفها في صيغة كُليّة في ثلاثة مستويات مادية تدرج تحتها مجموعة من الجزئيات نستحضر بعضها للتمثيل ونترك بعضها، على أن البعض الآخر يبقى من أسرار وإعجاز القرآن الكريم قد لا يمكن استدراكه ويبقى

إذ أن المولى عز وجل عندما ذكر في قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (النحل: 12). دل على دقيق صنعه وعلمه، وهي تابعة ومفصلة (سورة النحل: 10-11) وعطف عليها بقوله ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (النحل: 13)، أي "سخر لكم ما ذرأ لكم في الأرض" (ابن عاشور، د.ت: 117)، وهذه الآية تفصيل لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (الملك: 15).

وبهذا يتبين أن مادة التسخير في القرآن الكريم لها بعد عقدي واضح، إذ كل معناها يتماشى مع المعنى اللغوي، وهو التذليل بانقياد وطاعة لله عز وجل، فكل ما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَذِلَّ لَخِدْمَةِ الْإِنْسَانِ وَلِنَفْعِهِ فَهُوَ مَقْهُورٌ لِلَّهِ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ إِلَّا الْإِنْقِيَادَ لِأَمْرِ اللَّهِ، وفيه قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء: 44).

ووردت لفظة "مسخرات" التي اختارها الكاتبة من بين الوسائل المادية في الاتصال بالآخر: ثلاث مرات في قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ﴾ الأعراف: 54، ﴿ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ النحل: 12، ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ النحل: 79. تحمل جميعها نفس المعنى: وهو "مذللات" كما سنوضحه أدناه.

ج - المعنى الاصطلاحي:

إن من أهم المفسرين الذين اهتموا بمصطلح "التسخير"، وأولاه تفصيلاً يتماشى مع أبجديات كتابنا، هو الإمام الطاهر ابن عاشور، حيث أورد أن التسخير هو: "تصريف الشيء غير ذي الإرادة في عمل عجيب أو عظيم، من شأنه أن يصعب استعماله فيه، بجيلة أو إلهام، تصريفاً يسيره من خصائصه" (

ابن عاشور، د.ت:129) وطرح مجموعة من الأمثلة منها: تسخير الثُّلُك المسخر في البحر بالريح أو الجذف.

كما أن هناك مجموعة من التعريفات المعاصرة، التي تنطلق من توجهات مختلفة، حسب اختلاف الدراسة المطروحة، من ذلك التسخير في الجانب الدعوي، والذي اعتنى به الأستاذ الدكتور فتحي يكن، وارتقى به إلى أن جعله فقهاً فأسماه "فقه التسخير"، وهي دراسة من وجهة نظر دعوية خاصة بتطوير الإطارات داخل الحركات الإسلامية ودروها الدعوي. (يكن، 1999:245)

اختارت الكاتبة أقربها إلى البحث مع بعض الاستدراكات:

الأول: التعريف الذي أطلقه جودت سعيد، حيث قال: التسخير هو: "الوصول بالعلم- المعرفة النظرية للقانون والسُّنة- إلى أقصى غاياته لخدمة الإنسان في حياته اليومية". (سعيد، [HTTP://JAWDAT_SAIID.NET/INDEX.PHP?TITLE:%D8%B3%8%](http://JAWDAT_SAIID.NET/INDEX.PHP?TITLE:%D8%B3%8%)) لكن السؤال المطروح ما هي الغايات التي يقصدها جودت؟ على ماذا تبني حياته اليومية؟ وإن كان أجاب عن بعض من هذه الأسئلة في شروحاته، إلا أنّ التعريف يحتاج ضبطاً أكثر.

أما عماد الدين خليل فيرى أنّ التَّسْخِيرَ للإنسان بصيغة السَّيِّد الفاعل المرید، هو خضوع مسبقاً لكتلة العالم والطبيعة لتلبية متطلبات خلافته في الأرض وإعمارها للعالم على عين الله (خليل، د.ت)، ثم أورد قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ (النحل: 12)، كما يؤكد في كتاب آخر أنّ ثمة تلازم بين التسخير والكشف عن السنن، "إذ أنّ علاقة الإنسان بالكون لم تكن أبداً علاقة صراع وتناقض واقتتال، كما هو عند الغرب، إنّما هو محاولة الكشف والتنقيب والإندماج للوصول إلى أكبر قدر ممكن من التفاهم بين الإنسان وبين العالم بعد الكشف عن سننه ونواميسه الطبيعيّة" (خليل، د.ت: 303) وهذا ما نحاول تأكيده في أنّ القرآن الكريم كما يهدف بصريح العبارات في توجيهه الآخر نحو المسخرات واستثمارها لأجل تحقيق الاستخلاف المطلوب.

كما تُعرّف المسخّرات على أنّها: "عناصر البيئة الطبيعية مثل الشمس والقمر والرياح، والسحاب والأنهار والجبال والبحار والحيوانات والزروع والمعادن الموجودة في باطن الأرض". (عارف، د.ت: 398)

إنّ المسخّرات في هذا التعريف تحصر المفهوم في العناصر الطبيعية فقط، لكن ما موقع المسخّرات البشرية أو الإنسانية من التعريف؟ ومنه ما مَوْقع المسخّرات الاصطناعية التي قامت على أساس الطّاقة العقلية للإنسانية؟.

إنّنا نرى أنّ التعريف الذي يخدم البحث، ويَنطلق من مفهوم ﴿أَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: 31)، يجب أن يجوي كل العناصر المادية والمعنوية، البشرية والطبيعية، الملموسة والمحسوسة، الظاهرية والباطنية، التي تُفعل الاتصال الإنساني كما أراده القرآن الكريم، وبناءً عليه، فإنّ المسخّرات في المفهوم الاتصالي من البعد العقدي في القرآن الكريم - كما تراه الكاتبة - "هي كل المذللّات التي أوجدها الله في السماوات أو الأرض جميعاً، الباطني منها والظاهري، البشري منها والطبيعي أو الناتج عنهما معاً وتواصل بها مع الآخر من أجل تحقيق عقيدة التوحيد".

وهذا التعريف مستنبط من صريح قوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجمانية: 13). وقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: 54).

حيث يتدبّر الآيات التي قبلها يتبيّن أنّ "الخطاب موجّه إلى المشركين ابتداءً، ولذلك كان للتأكيد بحرف (إنّ) موقعه لرد إنكار المشركين انفراد الله بالربوبية" (ابن عاشور، د.ت: 122) وإذا كان ما

اشتملت عليه هذه الآية يزيد المسلمين بصيرة بعظم ومجد الله وملكه الواسع، ويزيدهم ذكرى بدلائل قدرته واتعاضاً بالأسلوب التواصلية بالقرآن الكريم مع الآخر المنكر.

وبالنظر إلى هذه الآية وعظمتها نجد أنها تؤكد أنّ المواد التسخيرية هي وسيلة مادية اتصالية راقية تيشد انتباه الآخر، وإذ هي جاءت في سياق التأكيد على وحدانية الله وألوهيته، ونبذ ما يصد عنه وهو اتباع الشرك، ثم الاستدلال على وحدانية الله والامتثال بخلق الأرض والتمكين منها، وبخلق أصل البشر وخلقهم والغرض من هذا الاتصال هو التذكير بعداوة الشيطان لأصل البشر (الأعراف: الآية 16) وتشبيث الوجدانية لله الواحد الأحد لأجل إصلاح الحياة في الأرض، وتعميرها بالاستخلاف المطلوب.

ذلك أن مبدأ التسخير يرتبط بغايات الاستخلاف ارتباطاً ينعكس في تفعيله على مدى نجاح الاستخلاف في المعمورة، ومنه فهو وسيلة أساسية من الوسائل المادية في ظاهرها معنوية في باطنها؛ إذ أنها تعتمد أساساً على إمعان الفكر، وتشغيل العقل لأجل إظهار مسخرات مادية ملموسة تنطلق أساساً من النظرة التناسقية الجمالية لهذه المسخرات، لثبوت علاقة اتصالية بين المولى عز وجل والآخر بكل أصنافه ويجمع حتى أصناف الذات عن طريق إمعان النظر في هذه المسخرات، في شكل الخُضوع وفقاً لمتطلبات خلافة الإنسان في المعمورة؛ لذلك نجد معظم الآيات التسخيرية وهي الآيات التي ذكرت فيها مادة التسخير إما لفظاً أو معنى منها: النحل-12- إبراهيم-32- لقمان-20 - النحل-12. تخاطب بصيغة "السيد الفاعل" وهي عبارة سبق وإن استعملها الدكتور عماد الدين خليل لتوضيح دور الانسان في الكون (خليل، د.ت: ص 313) وهو الإنسان في عموم اللفظ، بل لا توجد آية يخص فيها المسلم أي: (سخرنا للمسلمين) أو (سخرنا للمؤمنين) ذلك أن منطلق التسخير مبني على قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: 31)، إذ يندرج التسخير تحت هذه الأسماء، وكل هذه الأسماء أوجدها الله لأجل الإنسان في عمومها، لتسهيل حياته في الأرض، "لكي يحقق الإنسان المدى الأقصى، الذي يحقق خلافته في الأرض." (خليل، د.ت: ص 97)

وانطلاقاً من هذه الحقيقة نجد أن القرآن الكريم نَبّه إلى نوعين من المسخّرات:

الأولى: المسخّرات الطبيعية: ويسمّيها بعضهم "مسخّرات عالم الآفاق" وهي المسخّرات التي دعا الله سبحانه وتعالى إلى استثمارها لأجل تحقيق التوحيد، وقد كثرت الآيات فيها، إلا أننا نتوقف عند آيتين منها، لأننا نرى أنهما شاملتان وكاملتان تخدمان مبتغانا من البحث، على أن كل الآيات تسير في نفس سياق هاتين الآيتين.

الآية الأولى هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ... وَتَضْرِيحِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 164)، إن هذه الآية التي تجمع معظم المسخّرات التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان، وهو يراها كل يوم، لكن، قد لا يدرك منافعها إلا القوم الذين يعقلون، والآية في هذا السياق تأتي لتبني اتصالاً مباشراً بين من سخّر - وهو الله جلّت عظمتة - والمسخّر له - وهو الإنسان - الآخر أو الذات. من أجل غرض واضح تبيّنه الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿وَإِهْكُمُ إِلَهَ وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 163)، إذ أنّ وحدة الألوهية والتوحيد هي القاعدة الكبيرة التي تقوم عليها وبها كل المسخّرات.

والآية الثانية هي التي تظهرها لنا سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: 20).

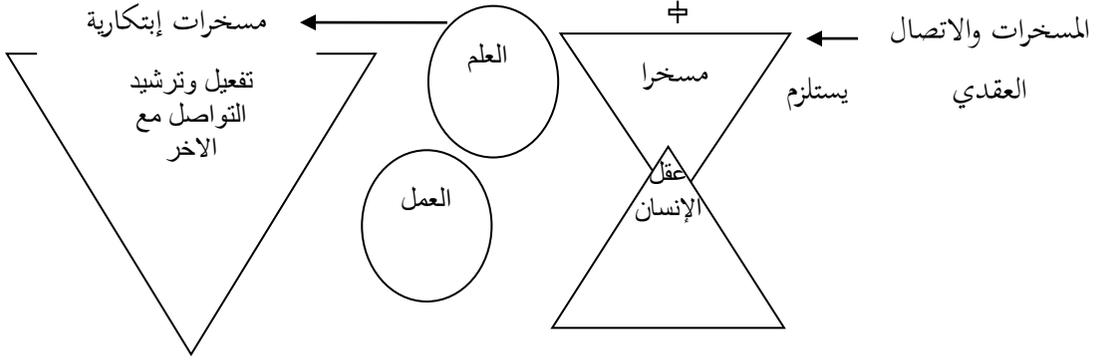
الثانية: المسخّرات البشرية وتبعاتها: وهي المسخّرات التي تفعلّ المسخّرات الطبيعية، إذ أنّها تنبني على العقل أساساً واستثمار المسخّرات الطبيعية لأجل إكمال الوجهة التوحيدية، والبناء العقدي لدى الآخر، ويسمّيها البعض (تسخير عالم الأنفس) ويقسم فتحى يكن المسخّرات إلى: خلقية واكتسابية، الأولى هي كل ما خلق الله في الكون وسخره للإنسان، أما الثانية الاكتسابية فهي

المسخرات التي يمكن أن يبتكرها الإنسان ويصنعها ويطورها ويسخرها في الغرض الذي جاء به الإسلام بل ويعتبرها هي التسخير الحقيقي، إذ هو رأس المال الكبير الذي وضع في عقل الإنسان.

والقرآن الكريم اعتمد هذا النوع من التسخير في اتصاله بالآخر ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات: 21)، ويتجلى ذلك على مستويين:

المستوى الأول: وهو دور الإنسان الواعي في تبليغ رسالة التوحيد واختيار النموذج التسخيري الواعي لإنجاح العملية الاتصالية مع الآخرين، ومنه قوله تعالى على لسان موسى ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿ (طه: 30-31)، ومنه تسخير أبو بكر الصديق رضي الله عنه للرسول صلى الله عليه وسلم ومواساته له في الكثير من المواقف لأجل إنجاح التواصل بين الرسول صلى الله عليه وسلم كصاحب رسالة وبين الآخر، ويتجلى ذلك واضحا خاصة في قصة الإسراء والمعراج، وقصة الهجرة، وتسخير عمه أبي طالب للرسالة المحمدية حيث كان غطاءه الذي يحميه من شر الآخر غير الواعي، حتى إذا ما مات عمه تكالبت عليه أشرارهم، حتى سُمي العام الذي توفي فيه عمه بـ"عام الحزن"، كما سبق وذكرنا.

أما المستوى الثاني فهو الابتكارات الإنسانية التي تنبني أساسا من المسخرات الطبيعية، وفق المعادلة الآتية:



المسخرات العقدية الشكل رقم 8 : الاتصال بتفعيل

ولقد كان هذا الاهتمام ظاهرا في قوله تعالى موضحا منهجية التسخيري في الاتصال بالآخر، وهذا ما تحكيه لنا قصة ذو القرنين مع الحديد بتفاصيلها: ﴿أَتُونِي زُرَّاتِ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ سورة الكهف: 96. ووجه الإستدلال هنا هو اعتماد المسخرات وفق المعادلة أعلاه، لكن بشرط أولي وهو أن يكون ذلك لأجل تحقيق غاية صالحة تنفيذ الإنسانية، ثم أن تُرد نتيجة إمعان العقل إلى فضل الله سبحانه وتعالى، لذلك قال ذو القرنين كما حكى عنه القرآن الكريم ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (الكهف: 98).

ذلك أن نتائج اجتماع العقل مع المسخرات الطبيعية لا يكون إلا بإذن من المولى عز وجل كما أخبر مخاطبا في ذلك الإنس والجن على سواء ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَعْظَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن: 33-35).

إذ أن هذه الآيات الثلاث التي تحدى القرآن الكريم بها كلا من الجن والإنسان تحديا صريحا بعجزهم عن النفاذ من أقطار السماوات والأرض، وهو تحدٍ يظهر ضآلة قدرتهما مجتمعين أمام القدرة الإلهية (زغلول، النجار، لا تنفذوا إلا بسلطان، في: [http:// ahlakalam.torelax.net](http://ahlakalam.torelax.net) | |) وهذا يشكل اتصالا إعجازيا عن طريق إبداع الكون وتسخيرهِ للإنسانية.

- المسخرات ودورها الاتصالي بالآخر:

ينبغي أن تقوم دراسة المسخرات الكونية في إطار النظرة التكاملية للاتصال بالآخر في ظل الاستخلاف المطلوب في الأرض، فهي تُساعد على فهم متكامل للوسائل الاتصالية في أبعادها الروحية والمادية (مالك، 1988) وتلعب المسخرات دورا بارزا في تحريك مشاعر الآخر، وتنشيط عقله، وتثبيت الأفكار في عقله، فهي لا تحتاج إلى جهد كبير لنقل عقيدة الآخر من الخرافة إلى الدين المستقيم.

ونظرا لما لهذه المسخرات من دور كبير وأثر عظيم على النفوس كانت الآيات القرآنية كثيرة التأكيد على هذه المسخرات، ولو دون ذكر المصطلح "مسخرات" أو "مادة التسخير"، وتكتفي بجعل النظر إلى جزئيات هذا العالم جزئية جزئية بما في ذلك الإنسان نفسه من أهم الوسائل الإستدلالية على وجود الخالق، وجعلت مادة ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ مثاله: الأعراف: 185. وعلى شاكلتها ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الزمر: 21، نوح: 15-، ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾¹ الغاشية: 17-20

وعندما يشير القرآن إلى النظر في كيفية خلق الأشياء لا يقصد به كيفية الخلق والتركيب والقياس الخاص بالفعل الإلهي فحسب، وإن كان ذلك من أساسيات النظر، وإنما أيضا من وجهة التسخير للإنسانية جمعا، وتوجيه النظر المعمق في دور هذه المسخرات التي يصنعها ضمن المسخرات المادية التي يجب أن تعتمد عليها الأمة المسلمة في الاتصال بالآخر، وهذا ليس بدعًا من القول، إذ أن حمزة (محمد يوسف، 1980)، وهو من أعظم المنظرين للاتصال الإسلامي، يؤكد على جعل: التلفاز

المذيع، والسينما، ووكالات الأنباء والمؤسسات الصحفية... من أهم الوسائل المادية، بل القرآن الكريم نفسه يؤكد هذا المبدأ كما رأينا في قصة ذي القرنين. وأي شيء يدخل تحت اكتشاف الإنسان هو من المسخرات الاتصالية لأجل البناء العقدي من منطلق قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (الوخرف: 13)، والآية ليست خاصة بالدواب فقط، وإن كان ولا بد فالدواب ضمن ما اكتشفه الإنسان كما ورد في الأثر، وأن أول من اكتشف الحصان وروّضه على الركوب هو إسماعيل عليه السلام، وبذلك يكون أي مخترع للتواصل يندرج تحت ما سخره المولى عزّ وجل.

وانطلاقاً من هذه الحقائق تكون علاقة الإنسان بالمسخرات الكونية قائمة على أساس أبعاد ثلاثة تحدد علاقة الإنسان بها وتضبط تعامله معها (النجار، د.ت: 20-28، خليل، د.ت: 323)ز

أ- وحدة الإنسان والكون: حيث يعد الإنسان وجميع المخلوقات المسخرة لخدمته طرفاً في علاقة ثنائية طرفها الأول هو الله خالق هذا الكون. فالإنسان مخلوق مثله مثل جميع الموجودات، متحد معها في المصدر ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: 30) والمربوبة: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: 44)، والكيفية ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ (الذارات: 49). ومن هنا تكون علاقة الإنسان مع الكون علاقته مع مخلوق مثله، يسبح بحمد ربه ويعبده، ولذا لا يستطيع أن يوقف عبادته وتسبيحه إلا لتحقيق أمر عبادي يتعلق بضرورة من ضرورات حياة الإنسان. فلا يجوز استغلال مسخرات الله في الكون في اللهو أو العبث أو الإهدار دون فائدة.

ب- رفعة الإنسان على باقي المخلوقات: على الرغم من الاشتراك في الأصل والتكوين إلا أن الله وضع الإنسان موضعاً محورياً في الكون، بحيث جعله موضع استعلاء ورفعة عن باقي الموجودات بما وهبه الله من خلافة، وبما حمّله من أمانة. وهذا ما جعله قيماً على باقي المسخرات يحمل مسؤولية استخدامها واستغلالها وإعمار الكون بها.

ج- تسخير الكون للإنسان: فالله سخّر الموجودات لخدمة الإنسان حيث حدد الأحجام والأبعاد والسنن الكونية بما يتلاءم والمهمة الأساسية لخلافة الإنسان في الأرض، وما يستجيب لقدرته على التعامل العمراني مع الطبيعة تعاملاً إيجابياً فعلاً ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى... وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُّقْرِنِينَ (13) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿﴾ (الزخرف: 12-13) كذلك تدبر في آيات القرآن في سورة النحل: 5-15، فاطر: 27-28، الجاثية: 13، إبراهيم: 32-33، البقرة: 164، الأعراف: 54.

ظوابط التعامل مع المسخرات في الشرع :

إنّ منظومة التسخير تفرض مجموعة من الضوابط في التعامل مع المسخرات ويحدد كيفية الانتفاع بها واستخدامها:

أ- إن هذه المسخرات يجب أن تستخدم لتحقيق الخلافة عن الله في الأرض وتطبيق شرعه ومنهجه، وكل مستخدم لها في غير ذلك يعد غاصبا لمخلوقات الله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿﴾ (النساء: 131-233).

ب- إن تعامل القرآن مع البيئة الطبيعية -أي مسخرات الله في الكون- يتم من خلال منظومة مفاهيمية تمثل ضابطاً ومحددًا لكيفية الاستفادة من هذه البيئة أو المسخرات. وهذه المنظومة تشتمل على مفاهيم أساسية انبنى عليها القرآن الكريم في مجمله نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: (التوحيد، الخلافة، الأمانة، الحلال، الحرام، العدل، الاعتدال) ، وذلك في إطار الإيمان بأن هذه المسخرات مخلوقات تسبح بحمد الله وتعبد، وتشكل أمماً كاملة مثل الأمم البشرية ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ

بِحَنَاحِيهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّتُكُمْ مَا فَطَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾
 (الأنعام: 38) ومن ثم "فإن على الإنسان أن يرمى حقوقها كأمر أخلاقي من ناحية
 وكأمر تشريعي من ناحية أخرى". (حامد الموصلي، د.ت: 22).

ج- التكامل مع البيئة الطبيعية وإدراك سننها ودوراتها، على عكس النظرة الأوروبية التي لا تقوم على استخدام الدورات الطبيعية وتعامل مع الطبيعة بصورة تكرر نزعة العدائية والتضاد. نجد الإسلام يحدد أبعاد التعامل مع البيئة بصورة تحقق تكامل الإنسان معها، ومعرفة دوراتها والاستفادة منها، وعدم استنزاف الموارد، وعدم تلويثها، وحفاظا على دوراتها وتجديدها. هذا بالإضافة إلى الدعوة إلى تطوير أساليب تأخذ وضع البيئة الطبيعية ومستقبلها في الاعتبار، مثل الاتجاه نحو الاستفادة من مصادر الطاقة غير ذات الأثر الضار على البيئة مثل: الشمس والمناخ...بدلا من الكهرباء والنفط الذي أدى إلى تلويث البيئة وتشويهها وتهديدها بالفناء. ذلك لأن كل شيء في البيئة يتأثر ويؤثر في الآخر، وليس هناك شيء مستقل، فالبيئة الكونية واحدة بما فيها الإنسان متجددة في دورات، سواء الأحياء أو الموارد، ومن ثم لا بد من تطوير نظم التعامل معها. بما يتناسب مع هذه الحقيقة ويدرك أبعادها. وهذا ما لعب دور الاتصال المباشر بين الخالق سبحانه وتعالى والآخر، وفعله بوسيلة التسخير.

والمسخرات يجب أن تكون خادمة للإنسان من كل جوانبه المادية والمعنوية، الروحية والجسدية، ولكي تتضح المادة التسخيرية أكثر كوسيلة اتصالية لتفعيل عقيدة الآخر وإثارة انتباهه، حريٌّ بنا أن نختار وسيلة مادية لا تتحزراً عنها، بل تُكَمِّلُها وندرسها من كل جوانبها القرآنية ليتضح مدى عناية القرآن الكريم بكل الوسائل الاتصالية المادية الروحية، هذه المادة هي المساجد، نتناول جزئياتها في المطلب التالي.

المطلب الثاني: المساجد ودورها الاتصالي بالآخر:

أ-المسجد لغة: في لغة العرب، المسجد من الفعل الثلاثي "سَجَدَ" بمعنى خضع، ومنه: سجود الصلاة، وهو وضع الجبهة على الأرض، ولا خضوع أكبر منه وعند مطالعة كتب اللغة نجد تفصيله على النحو الآتي:

- المسجد بكسر الجيم وفتحها: الذي يُسجد فيه

- والمسجد بفتح الجيم: جبهة الرجل في حال السجود.

- أما المسجد بكسر الميم والجيم فهو: المسجد بمعنى: السجادة وهي الخمرة التي تعد للصلاة عليها. (ابن منظور، د.ت: 175)

-والإسجاد: إدامة النظر (القرطبي، د.ت:244)

ب- المسجد في القرآن الكريم:

وردت مادة "سجد" في القرآن واحد وتسعون (91) مرة (عبد الباقي، د.ت:437) تحمل كلها المعنى الإيجابي، مباشرة بفعل السجود كما يتجلى ذلك في قوله تعالى: [فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ] الحجر: 30، ونفسها في سورة ص: 73، وكذا في كل من: البقرة: 34، النساء:102، الأعراف: 11، الإسراء: 61، الكهف: 50.وهو: "الخضوع إلى المولى عز وجل"، وقد تحمل معنى الإجلال دون وضع الجبهة على الأرض، وهو الانحناء أي الركوع كما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم ﷺ ، على أصح التفاسير.

وهناك معنى آخر وهو: نفي المعنى السلبي بلام النفي، مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ (فصلت: 37). أما مادة "المسجد"، فقد ذكرت مفردة 22 مرة، كلها يقصد بها المسجد في عمومها، أو "المسجد الحرام" بالتحصيل، وهي بهذا تحمل المعنى الإيجابي، إلا آيتين، هي آية مسجد الضرار في سورة التوبة: الآية 107، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا

لَمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿التوبة: 107﴾، وآية مسجد أهل الكهف في سورة الكهف: الآية 21 ﴿قَالَ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ الكهف: 21. ذكر فيهما عكس ما يستحق السجود له، وهو المعنى السلبي.

— كما وردت جمعا "مساجد" في ستة 6 مواضع، كلها تحمل الأحكام الشرعية الخاصة بالمساجد (البقرة: 114، 187، التوبة: 17-18، الحج: 40، والجن: 18) إلا آية واحدة جاءت عامة وهي في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: 18).
 مما تقدم نخلص إلى:

1- المعنى اللغوي يتطابق مع المعنى القرآني، إلا أن في جزيئة وضع الجبهة على الأرض، ترى الكاتبة أنه ليس من ضرورة معنى السجود، فقد نقول سجد بمعنى عظم، وخضع، وإن كان الأمر يعني السجود بوضع الجبهة على الأرض ضمئياً.

2- في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَمَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. (التوبة: 18) فنجد وجه الدلالة: أن قول "يعمر" دال على العمارة بالبناء، كما دل على العمارة بالعبادة؛ لأن "باني المسجد ليتقرب إلى الله تعالى ببناؤه"، وهذا البناء في عمارته يمثل السمو المطلق في اتجاه قبلة المساجد في العالم كله نحو لفظة واحدة هي الكعبة المشرفة، والتي تحمل رمز التوحيد الخالص فتكوّن معنى اتصاليا عقديا عظيما يأتي تفصيله.

1- أن المسجد في المفهوم القرآني الخاص بعد تدبر الآيات القرآنية هو: "مقرّ إعلان العبودية الخالصة للخالق" بصريح قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: 18).

-2

ثمة آيات قرآنية تتحدث عن المسجد الحرام لكن تستبدله بمصطلح "البيت" وهذا ما نجده في الآيات من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (البقرة: 125)، ومنه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِّلنَّاسِ لِلَّذِي بَنَىٰ لَهُ الْبَيْتَ مَبْرُكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 96)، و﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ (المائدة: 97)، والمراد بها "المسجد الحرام". والذي يستدعي الانتباه أن هذه الآيات القرآنية جاءت في صيغة مخاطبة الناس جميعاً، المؤمنين الذين يسجدون، أو الآخرين الذين لا يسجدون، والذي نستنتجه من هذا، أن البيت بيت الله الحرام، وضع لجميع الناس، ويصبح مسجداً للفئة التي تسجد فيه وتُعلن خضوعها لله الواحد الأحد، إذ لفظ المسجد لفظ خاص بفئة المؤمنين الذين يسجدون وهم ورثة إبراهيم عليه السلام بالإيمان والتوحيد الصحيح. أما لفظ "البيت" فهو لعموم الناس، لا يختص بفئة مُعيَّنة، وهو في هذا وذاك بيت الله، "لا بيت أحد من الناس" (قطب، د.ت: 113) وهذا ما يسعى القرآن لتأكيدهِ في آياته الكريمة وهو يتطابق جزئياً مع التعريف اللغوي.

ج- المسجد اصطلاحاً: اتفق العلماء على أن المساجد هي: "المواضع التي بُنيت للصلاة وذكر الله" (البروسوي، د.ت: 231) ويزيد الدكتور يوسف القرضاوي (1999) شيء من التفصيل حيث يقول: "المسجد: بيت الله تبارك وتعالى، الذي بُني لإقامة ذكره وشكره، وحسن عبادته، وأهم عبادة تُقام في المسجد هي الصلاة: عمود الإسلام، وفريضته اليومية".

بناء على التعريف اللغوي والمورد القرآني والمفهوم المصطلحي، نخلص إلى أن المسجد: "بيت الله الذي تعلن فيه حقيقة وحدانيته وتقام فيه عبادته".

3- عمارة المساجد... رؤية في المنهج الاتصالي: تبعا لإشكالية اعتماد القرآن الكريم ضمن وسائل الاتصال هي اتصالية تُطل علينا إشكالية المساجد ضمن مجموعة الوسائل المختلف فيها، ونفس الحجج التي أوردناها في الإشكالية ذاتها طُرحت في إشكالية المساجد وما تبعها حتى قال أحدهم مُعلِّقاً على من اعتبر الأذان وسيلة بقوله: "القول بأن الأذان وسيلة من وسائل الإعلام يعادل من يقول بأن دقائق ساعة (بج بُن) أو جامعة القاهرة أو ساعة الراديو في أي بلد من البلدان وسيلة إعلام، وهذا غير صحيح - كما قال- أن الأذان إعلان بدخول الوقت الخاص بالصلاة، ودعوة إلى إقامة الصلاة". (حسيني، د.ت: 122)

وبهذا نجده يَحْصُرُ الأذان في "اسم مضمون" و"شكل محدد" كما أنه لم يضع مُبرِّراً واضحاً يجعل التفرقة بين وسائل الإعلام - كما سماها- والأذان، ضرورياً، ولم يُحدِّد المعيار الذي يتم على أساسه هذا التفرقة محمد، د.ت: 70) وقد وافقه في ذلك كل من أخرج القرآن الكريم من ضمن وسائل الاتصال، وترى الكاتبة أن أثر هذا الإلغاء ناتج أساساً من عنصرين: الأول: البناء الداخلي لعلم الاتصال الذي كان على يد الدوائر الغربية والمبني أساساً على تهميش الآخر، وإلغاء وسائله والتنقيص منها، حيث نخشى أن يتصور الباحث المسلم أن التأسيس لوسائل الاتصال كان عن جهل وعدم إراية بالوسائل الإسلامية ودورها في الفكر الغربي. إذ تُفاجئُه أنّ المستشرقين سبقوا المسلمين في دراسة الوسائل الإسلامية بل دَقَّقوا فيها، حتى أضحت هي المصادر الأساسية المعتمدة حيث اشتهر الكابتن كريسويل الإنجليزي *creswell* ومؤلفاته في العمارة الإسلامية الأولى في مساجد مصر على الخصوص، واعتبره الناس الحجة التي يُعلى عليها في المعرفة بعمارة الإسلام، وذلك في كتابه: *K.A.c, Creswell, A short account of Early Muslim Architecture, Pelican Books, 1958* رغم ما يتخلل بعضها من جمود في الفكر وانحياز للغرب وعقده الإستعمار، ومبني على أنه يدرس معالم حضارة يعتقد أنها ماتت وذهب أوانها فواسلها بدائية لا ترتقي إلى اعتمادها، لكن

هناك آخرون درسوا الوسائل الإسلامية وبالخصوص "المساجد" بقلب سليم ونظر سديد، فأحسوا بمعانيها وقيمتها، وأدركوا معانيها الروحية، لكن لك يكن لهم حضور في التنظير لوسائل الاتصال.

والثاني: من عدم استيعاب الآيات القرآنية وتوجيهاتها والوقوف عند مصطلحاتها الدقيقة.

لهذا فإن الكتابة تُخصّص هذا المطلب -الذي يحتاج أن يكون فصلا أو بحثًا مستقلًا في ذاته - لدراسة أو طرح أسباب اعتماد الكتابة المسجد والأذان والحج؟ وسيلة اتصالية بالآخر في القرآن الكريم لأجل البناء العقدي وفق متطلبات الاستخلاف في الأرض، وستجهد أن يكون ذلك على وجه من الإيجاز شديد، فلا ندخل في المناقشات الخاصة بدور المساجد والحج وأحكامهما إذ ليس ذلك من تخصّص هذا المطلب، فقد درس هذه التّواحي أساتذة أجلاء مُتخصّصون (الزركشي، 1999) وأوفوا كل الغاية منها، ولولا ما أفاضوا به كما استطعنا استنباط بعض من أفكارنا، إذ أنّ تاريخ المساجد-بعد الإطلاع على ما كتبت حول الموضوع- (أحمد رجب محمد، www.neelwafurat.com) يضم فصولا كثيرة من التاريخ الحضاري والاجتماعي، لكن الذي يستوقف النّظر أنّ علماء المسلمين لم يخصّصوا كتبًا -فيما أعلم- عن دور المسجد في توصيل العقيدة الصّحيحة لآخر، سواء من حيث المبنى -أي العمارة، أو من حيث المعنى الروحي الذي يسجّله دور المسجد في إيقاظ الإنسانية جمعاء. وتأسيسًا على ما سبق ذكره تقف الكتابة عند مجموعة من الإعتبارات التي تؤكد أن القرآن الكريم اعتمد من ضمن وسائله الاتصالية بالآخر المسجد أو بيوت الله، أو البيت الحرام، أو الأذان بصفته أساس النّداء الاتصالي، تُفصل حيثياتها في:

أولاً: يعتبر المسجد وسيلة أساسية من وسائل الاتصال بالآخر على كل أصنافه بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: 27)، فبعد أن تمّ البناء -بناء الكعبة- كما ذُكر في الآية التي قبلها ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرِّيَّتِنَا

أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿البقرة: 127-129. أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يدعو الناس إلى حج بيت الله الحرام وأن يُعلمهم بذلك: فذكر أنه قال: يارب كيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم؟!، فقال: ناد وعلينا البلاغ، فقام على مقامه، وقال: يا أيها الناس إنَّ ربكم قد اتخذ بيتا فحجَّوه، فيقال: إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل من كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة (ابن كثير، د.ت: 216)

ووجه الشاهد من هذه الآية هو أنَّ المصطلحات القرآنية، مصطلحات دقيقة، وما نُلاحظه هو أنَّ ظاهر الآية "الناس" ولم يُخصَّص الأذان لفئة من المؤمنين فقط، فلفظة النَّاس يدخل فيها المؤمنون وغيرهم، لكن الدخول للمسجد هو الذي يختصَّ بالقائمين والركع السجود كما ذكر في قوله: ﴿وَطَهَّرَ بِنِيِّ لِبَطَائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرَّكْعَ السُّجُودِ﴾ (الحج: 26)، أي اجعله خالصا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده ولا يشركون.

والمسجد الحرام هو أول مسجد بُني على وجه الأرض، والأذان فيه كان للناس أجمعين، وعلى الوتيرة ذاتها أمر الرسول ﷺ بلال أن يُؤذن في الناس عندما بنى أول مسجد في الإسلام لأُمَّته (ابن عبد البر، 1994: 56-66).

وحين نكتشف أنَّ هذه الآية -آية الحج: 27- يأتي في سياق سورة الحج التي تبدأ أيضا بنداء عام، "نداء النَّاس جميعا إلى تقوى الله، وتخويفهم من زلزلة الساعة، والذي يتصل بالحديث عن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام، ويستنكر هذا الصد عن المسجد الحرام الذي جعله الله للناس جميعا، يستوي في ذلك المقيمون به والطارئون عليه"، (سيد قطب، 2009: 2407) واتصالها عن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام. وبهذه المناسبة يتحدث عن الأساس الذي

أقيم عليه ذلك المسجد يوم فَوْضَ اللهُ إبراهيم ع في بنائه، والأذان في الناس بالحج إليه الذي كُلف أن يُقيم هذا البيت على التوحيد، وأن ينفي عنه الشرك. ثم أمره بالأذان، "ووعده أن يُليي الناس دعوته"، (سيد قطب، 2009: 2418) وما زال وعد الله يتحقق منذ إبراهيم عليه السلام إلى اليوم والغد، بل وإلى يوم القيامة.

ثانيا: وتزيد أهمية وسيلة المسجد بالنسبة للآخر في الشعائر التي تقوم فيه والتي يمكن أن نجملها في:

1-الأذان وإقامة الصلاة: حيث يتميز الأذان بخصائص اتصالية تجعله عاملا رئيسا من عوامل الاتصال الإنساني كما سبق ورأينا، فهو اتصال جماهيري يتبع نطاقه باستخدام مكبرات الصوت ومن أعلى المآذن، ثم من خلال وسائل الإعلام الحديثة، كالإذاعة والتلفزيون والنت، وهو يعتمد على عنصر التكرار لتثبيت المعاني في الأذهان أولا، ثم لتنبه غير المسلمين ولفت نظرهم لبعض معاني الإسلام، مما قد يكون له تأثير في هدايتهم للإسلام، لذلك ترى الكاتبة أنه عند الفراغ من الأذان كشعيرة باللغة العربية، يُترجم إلى اللغة التي يتكلم بها أهل المنطقة حتى يعي الآخر ولو غير مسلم معانيها. لأنها تحمل خيرا كثيرا للبشرية قاطبة، ولأهل الفقه البحث في حيثيات ومشروعية هذا الرأي. وكذلك ملاحظة أن وقت الأذان خمس مرات لا يفتر عنها المسلم الذي يؤكد لدى الآخر قمة التنظيم والانضباط في حياة المسلم. ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء: 103) وخروج الجماعة التوحيدية للصلاة في ثياب صلاة نظيفة ووحدة في الأخلاق والمقصد يولد انطبعا حسنا لدى غير المسلم.

2-الجمعة: حيث لها قدرة خاصة على التأثير لدى الرأي العام ويضعها القرآن في مكانة سامية، ويفرض على المسلمين نشاطهم وترك عملهم، والسعي للمساجد، هذا الذي يؤد انطبعا خاصا لدى الآخر، واحترامه لعقيدة التوحيد.

3-خطبة الجمعة: التي جعلت لها مكانة خاصة فلا تصح الصلاة إلا بها، ونرى أيضا أن تُترجم إلى لغة أهل المنطقة كي يتسنى لهم سماع عقيدة التوحيد، وأخلاقيات القرآن وعظمة الشريعة، وهي في هذا المقام تعتبر أيضا وسيلة اتصالية بالآخر في مضمونها وسماعها بدون شرط حضورها.

4-فريضة الحج: وهي من أهم الوسائل الاتصالية الخاصة في إبلاغ عقيدة التوحيد، والتي لا تُناظرها وسيلة أخرى، إذ الحج هو المؤتمر الأكبر العالمي والتّجمع الأعظم الذي يحمل علنا عقيدة التوحيد، وقد كتب فيه المتقدمون والمتأخرون، وألّفوا فيه الكثير (ابن تيمية، 1994) إذ هو الإِتجاه نحو المسجد الحرام، الذي انطلقت منه أول نداءات التوحيد، مع إبراهيم، كما سبق ورأينا، وإعلان سنوي لا يتقدّم ولا يتأخّر للإنسانية جمعاء، أنّ ثمة إلهة واحد يُعبد، وربّ واحد خلق، منه وإليه يرجع خلق الكون أجمعين. فهو بهذا وسيلة اتصال فعّالة خاصة إذا ما فُعّل دوره، واستفاد منه المسلمون في مقصده الاتصالي مع الآخر، خاصة إذ فعلت أدواره في وسائل الاتصال الإلكترونية الحديثة.

وهو بهذا يحتاج إلى دراسات مستفيضة لشعائره -كلٌّ على حدّه- للاستنباط ما تتضمنه من مغازي إعلامية واتصالية فريدة، ومن هذه الشعائر: الطّواف حول الكعبة على مرمى من الناس وكشف الكتف، والوقوف بعرفات، والتلبية والتكبير، ورمي الجمرات، والسعي بين الصفا والمروة وغيرها.

ويبقى الجهد المطلوب من علماء الإسلام وأهل التخصص هو وضع القواعد والأسس التي تكفل لهذه الوسائل خدمة عقيدة التوحيد وتفعيلها لحماية الإنسان من الهلاك، وصناعة حياة الاستخلاف المطلوب.

ثالثا: من خلال هذا العرض المبسّط، فإننا نتفق مع الدكتور إبراهيم عوض في ردّه على المبررات التي أبعدت المنبر -كما يرى- عن دائرة وسائل الاتصال والتي نوردتها بإيجاز في: (عوض، د.ت: 20-29).

1. إن من خصائص وسائل الاتصال الجماهيرية أنّها سريعة (*rapid*) في أداء دورها للحد الذي ينتفي معها عنصر الزمان في وصول الرسالة، كما في حالة الرسالة الإذاعية عبر الراديو أو التلفزيون، والتي تصل في لحظة بثها من جهاز الإرسال، لكن المنبر هو أول الوسائل الإعلامية على وجه الأرض التي اعتمدت هذا العنصر (السرعة) بحكم وحدانية الزمان والمكان بالنسبة للمرسل والمتلقي. والآخر يسمع الأذان أو الخطبة، أو إقامة الصلاة، طالما هو قريب من المسجد. أو إذا كان عنده مذياع أو تلفاز يستطيع من خلاله سماع ذلك وإن كان بعيداً عن المسجد سكناه.

2. إنّ الإعلام الجماهيري لا بد له من وسيط (*medium*)، وهذا الوسيط في المدلول الاتصالي هو القناة (*channel*)، وحسب تعريف للقناة التي هي أي وسيلة أو أداة - كما رأينا سابقاً - تقوم بتوصيل رسالة للمتلقي بهدف، أو إذا اعتبرت اللغة ناقلة للأفكار كوسيط كما اعتمدها علماء الاتصال على المستوى الدلالي، فإن رسالة المسجد على المستويين - قناة - أو - لغة - تتضح معالمها بشكل أكبر من قنوات الاتصال الأخرى، بحكم أن المرسل الذي غالباً ما يكون هو الإمام أو المؤذن يُقدم رسالته إلى الجمهور المستمعين داخل أو خارج المسجد أو خاصة باعتماد المكبرات والتقنيات الحديثة، والمسجد مثله مثل بقية وسائل الاتصال تتداخل فيه مفاهيم التعريف بين القناة والمرسل، وهذا التداخل يزيده إصراراً على انضمامه ضمن الوسائل لما يحمله من رسالة توحيدية واضحة المعالم.

3. تتميز وسائل الاتصال الجماهيرية بأن رسالتها تصل إلى جميع المتلقين بالتساوي وفي وقت واحد، (*Simultaneously*)، وعند النظر إلى هذه الخاصية من زاوية الطبيعة الاتصالية للمسجد، (الأذان - الخطبة - الحج) نجد أن الرسالة والهدف الاتصالي التي تؤديه الشعائر تصل إلى كل المتلقين المقصودين بها في وقت واحد، وليس تحجيم دور المسجد في الحضور

الذين هم بين جدران المسجد فحسب، بل إن المتلقين لرسالة التوحيد قائمة على "أذن في الناس"، وكل الذين يلتقطون هذه الرسالة إما بطريق مباشر أو عبر الوسائل التقنية المساعدة - مثل المكبرات والنت- نستخلص من كل هذا أن المسجد يشترك في جميع الخصائص مع وسائل الاتصال الجماهيرية التي تميزت بالسرعة والمباشرة والوصول الوقي إلى الجمهور، لكن يزيد على ذلك حمله لرسالة ربانية ثابتة لا تتغير أهدافها عبر الزمان والمكان، وهي تُوفّر عنصر الإنسانيّة في تبليغها.

الخاتمة تحصيل وتأصيل

الحمد لله حمدا يوافي نعمه، ويزيد من فضله، الحمد لله حمدا يليق بجلال قدرته وعظمته، وقُوّته ورحمته، له الحمد على نعمة التوفيق في الإبحار في "كلمات الله" التي لا تنفذ ولا تتبدّل، وصلّى اللهم وسلّم على من أنزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيرا، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله أجمعين. وبعد:

فإنّ الكلام في خاتمة البحث ينتظم في مسلكين: الأول: محصول الدراسة الملخّص في النتائج، والثاني: التّوصيات التي تمثّل ثمرة المحصول، وبسط الكلام فيها كالآتي:

أولا: نتائج الدّراسة:

1- تمكّنت الدّراسة من ضبط مصطلح "السياحة" ابتداء من خلال منهج الدّراسة المصطلحية، وهي دراسة تهدف إلى تبين المفاهيم وبيانها، وتجمع بين التحليل والتركيب، والاستقراء والاستنباط، وتتجلى فائدة دراسة المفاهيم القرآنية على ضوء هذا المنهج في تحرير واقع البحث في المصطلح القرآني من المذهبية في الفكر.

- 2- استطاعت الدراسة إبراز دور المسخرات كوسيلة اتصالية اعتنى بها القرآن الكريم من أجل البناء العقدي وتحقيق الاستخلاف في المعمورة، لذلك نرى ضرورة اعتماده وباقي الوسائل ضمن الوسائل العالمية للاتصال.
- 3- كشفت الدراسة عن دور السياحة في الاتصال في القرآن الكريم، وبيّنت ضرورة اعتمادها ضمن وسائل الاتصال، لما لها من إيقاظ الوجدان وتصحيح ثم بناء عقيدة التوحيد.

ثانياً: التوصيات:

انطلاقاً من واقع الحاجة إلى دراسات تعيد النظر في فهم واستيعاب كلمات الله عز وجل، وإسقاطها على الحياة البشرية فيما يخص أهم عنصر في تحقيق حياة إنسانية راقية وهو الاتصال العقدي، فإن الدّراسة و-حتى لا تكون مبتورة- تشير إلى ضرورة توجّه المسار الفكري من أهل الاختصاص على ثلاثة مستويات:

على مستوى الطلبة والباحثين: كشفت الدّراسة عن وجود كثير من الجوانب تحتاج لدراسة مماثلة، فما أنفع أن تُوجّه جهود الطلبة والباحثين للبحث فيها، أقترح منها:

- 1- الاتصال غير اللفظي في دعوة الأنبياء.
- 2- قواعد اتصالية في تراث المفسرين. (اختيار نماذج: الزبجشري، القرطبي،...).
- 3- تفسير الطّاهر ابن عاشور ودوره في البناء العقدي.
- 4- منطلقات الاتصال بالآخر في فكر سيد قطب.
- 5- أركان العملية الاتصالية في قصة موسى عليه السّلام.
- 6- شروط القائم بالاتصال كما تتجلى في سورة الكهف.
- 7- تقنيات الاتصال في دعوة محمد صلى الله عليه وسلّم.
- 8- منهجية البناء العقدي في التواصل مع الآخر بين نوح ومحمد عليهم السّلام، دراسة مقارنة.

على مستوى الجامعات والحكومات الإسلامية:

1- ينبغي أن ترتقي بحوث الدراسات الإدارية من منظور فردي إلى اهتمام حكومي، وتعزز على إثرها من طرف الحكومات الإسلامية لما لها من مردود إيجابي وفوري لصالح الإسلام والأمة.

2- تعزيز دور الجامعات من طرف الحكومات الإسلامية في نشر مفاهيم الاستخلاف التوحيدي والاتصال الإنساني المنضبط من خلال إعادة بناء مفهوم السياحة وتفعيله بما يوافق الرع وعادات وتقاليد أعراف الأمة الإسلامية أو أي قطر إسلامي لإعادة هبة الأمة وأصالتها .

REFERENCES

- Ibn Manzur. T.t. *Lisan al- 'Arab*. Beirut: Matba'ah Dar Ihya' al-Turath al-Arabiyyi.
- Ibn A'syur. T.t. *Al-Tahrir wa al-tanwir*. Tunis: Matba'ah al-Dar al-Tunisiyyah.
- Fath Yakan. (1999). *Fiqh siyasah fi al-Islam wa namazij min rihlat fi ard al-wasiah*. Beirut: Muasasah Risalah.
- Khalil. T.t. *Haula i'adah tasykil al-aql al-Muslim*. Qatar: Wizaratul Awqaf.
- Malik. (1988). *Musykilah al-afkar al i'lami al-Islami*. Damsyik: Dar al-Fikr.
- Muhammad Yusof. (1980). *Min khasais al-ilami al-Islami*. Mekah: Rabitah al-A'lam al-Islami.
- Ali Husin. T.t. *Imarah al-masajid ru'yah fi manhaj al-fan al-Islamiyyi*. Qaherah: Dar al-Ilam al-'Arabiyyah.
- Al-Syaukani. (2002). *Fath al-adir al-jami baina fanni al-ru'yah wa al-dirayah min ilmu tafsir*. Beirut: 'Alam al-Kitab .
- Al-Qardawi. (1989). *Al-Dawabit al-syariyyah li bina' al-masajid*. Al Qahirah: Maktabah Wahbah.
- Al-Zarkasyi. (1989). *Ilam al-masjid bi ahkam al-masajid*. Qahirah: Majlis al-A'la li al-Syuun al-Islamiyyah.
- Ibn Abd. Al-Bar. (1994). *Al-Durar fi iktisor al-maghazi wassir*. Qahirah: Majlis al-A'la li al-Syuun al-Islamiyyah.
- Ibn Taimiyyah. T.t. *Fiqh al-haj*. Beirut: Dar al-Fikr al-Arabiyyi.
- Ibn Hajar al-'Asqalani. (1988). *Kitab al-haj wa al-'umrah*. Beirut: Dar al-Balaghah.
- Al-Kanani. (1994). *Hidayah al-salik ila al-mazahib al-arba'ah fi al-mansik*. Beirut: Dar al Basyair al-Islamiyyah.